لغز النهاية الرهيبة

نُشر خبر فى صحيفة الأهرام المصرية، كان نصّه:

" تمّ العثور على جثث تعود لمجموعة من الشباب، حرقوا عمداً في ظروفٍ غامضة ..! ورغم كل الجهود المُكثّفة لحلّ لغز الجريمة، او ايجاد مرتكبها .. الاّ ان الشرطة ومنذ ثلاثة اشهر حتى اليوم، لم تمسك بطرف الخيط يمكن ان يقودها لمعرفة الجاني .. لذلك قاموا اهالي الضحايا بالإعلان في جريدتنا عن مكافأة مالية، لمن لديه ايّ معلومة قد تساعد في القبض على مرتكب الجريمة .. وللتواصل:

وترافق هذا الخبر مع أربعة صور : لثلاثة شباب وفتاة ..كلّهم تقريباً بعمر العشرين، ويبدو من صورهم انهم ابناء طبقة مرموقة.

قبل هذا الإعلان بثلاثة اشهر:

إنطلقت سيارة رياضية ذات لونٍ ازرق، تشقّ طريقها كالسهم بركابها الخمسة، عابرةً الطرق الزراعية بين القرى .. وقد علا صوت شيرين في أغنيتها الجديدة الصاخبة ..

و فجأة ! توقف صوت المذياع مع توقف السيارة جانباً .. ويبدو ان هناك حواراً يدور بين ركابها ..

في داخل السيارة..

قال الشاب (صاحب العضلات المفتولة) الى صديقه جاسر الذي يجلس بجانبه :

-جاسر !! أأنت واثق من أننا نسير في الطريق الصحيح ؟!
-نعم يا محمود .. فأنا ذهبت الى قريتي لوحدي اكثر من مرة .. وسنصل اليها مع نهاية هذا الطريق

فابتسم منير (الفتى النحيل بنظّارته الطبّية، والذي كان يجلس في الخلف)

-فكرتك جيدة يا جاسر .. فقريتك بعيدة كثيراً عن المدينة، وستكون مناسبة لإجراء بحثنا الميداني .. وانا متأكد بأننا سنأخذ درجاتً عالية في مشروعنا الجامعي

لم يعقب أحد على حديث منير ..فهو معروف بينهم بالعبقرية العلمية .. وعادت السيارة لتنطلق وهي تنهب الطريق نهباً، حتى وصلت الى قرية فيها منازل قليلة ..كانت ماتزال تحافظ على شكلها القديم، وكأن الزمن توقف عندها ولم يصبها فيروس التطور .. وقد قبعت هذه القرية فى باطن الجبل فى مشهدٍ أسطوري، أبدعه فنانٌ محترف ..و قد إنتشرت أشجار النخيل فى كل مكان، مما أضفى على المكان جمالاً خلاّباً..

و هنا !! هتف جاسر وقد إنتفخت أوداجه، وأصبحت كالبالونة التي إمتلأت بغاز الهيليوم !

-هاهي قريتي !! لقد وصلنا !! ألم أخبركم بأنها ساحرة ؟ !!

ثم نظر الى الخلف، نحو الفتاة التي تحمل ملامحاً اوروبيّة : بشعرها الأشقر وعيونها الزرقاء ..و ذاك الوجه المرمري، والأنف الدقيق .. ومما زاد جمالها اكثر، هو فمها الذي يشبه حبات الكريز فى لونها ..

فسألها قائلاً :

– لوجي !! ما رأيك بقريتي ؟

-تبدو جميلة .. ليتنا نمكث فيها لبعض الوقت .. بل ما رأيكم ان نعزم باقي أصحابنا، ونعمل حفلات شواء تحت سفح ذلك الجبل المهيب ؟!!

قاطعتها الفتاه الأخرى التى كانت تجلس بجوارها، ذات الملامح الشرقية : بشعرها الأسود الفاحم وعيونها التي تشبه لون العسل ووجها الدائري، وبشرتها التى تشبه لون القمح الذى استوى على عوده .. قائلة بلهجةٍ حامية:

-أأنت دائماً هكذا ؟!! رأسك مشغول في الحفلات والمكياج والأشياء الفارغة ! نحن هنا من أجل بحثٍ ميداني للحصول على درجاتنا النهائية في الجامعة .. لهذا دعونا ننتهي منه سريعاً، كيّ لا نتأخر بالعودة الى منازلنا .. ولا داعي ابداً لتضيع الوقت !!

حاولت لوجي ان تردّ عليها ..لكن منير (الذي يجلس بجانبهما) قال بسرعة، في محاولةٍ منه لتهدئة الجوّ:

-يا هدى !! هوّناً يا أختاه ! الأمر لا يستحق حِدّة الخُلُق .. وعلى العموم !! سنخرج بعد قليل الى شوارع القرية، لننهي ما أتينا من أجله ...أظن ان الكلّ يعرف ما أتينا من أجله، أم أقول لكل واحدٍ منكم دوره ؟

فصمت الجميع، وأخذوا يحدّقون اليه .. فعرف الإجابة من خلال نظراتهم .. فقال منير:

-حسناً سأعيد .. نحن هنا من أجل بحثٍ ميداني خاص ب(علاقة المجتمع بالخرافات الشعبية، وتأثيره على التطوّر المجتمعي) .. وسيذهب كل واحداً منا في جهة، لنحصل على اكبر قدر من المعلومات فقال جاسر:

-نعم !! وان تأخّر الوقت، نبيت جميعنا في منزل جدي .. وفي الصباح نعود الى المدينة ..

ثم يكمل منير شرح خطة العمل :

-شكراً لك يا جاسر .. اذاً !! كما اسلفت .. علينا ان نتجوّل طوال اليوم .. وكلاً منّا يسأل اهالي القرية عن ما سمعوه من اخبار الشعوذة، وندوّن ما يحدث معنا .. وفي نهاية اليوم ..نجتمع كلنا في المكان الذي حدّدناه قبل قليل، لنذهب سويّاً الى منزل جاسر..
فهل هذا واضح ؟

وافق الجميع ..و أنطلقوا في شوارع القرية، يسألون السكان عن الدّجالين والجن والعفاريت.. و سرقهم الوقت حتى غابت الشمس ..و عاد

الفلاّحون الى منازلهم ..و اخذت الأضواء الخافته تطلّ من النوافذ ..و في المكان المحددّ، إلتمّ شمل أبطالنا ..

و أخذوا جميعاً يتحدثون عن مجريات اليوم ..و بعد أن إنتهوا، قال محمود :

-لقد تأخّر الوقت .. هيا يا جاسر !! دلّنا على منزلك

فسار الجميع بالسيارة بين شوارع القرية، وسكانها يتابعونهم بفضول ويتهامسون فيما بينهم .. لكن أصاحبنا لم يبالوا بذلك الى ان وصلوا لمنزلٍ، يعتبر كبيراً بالنسبة لباقي منازل القرية .. حيث تكوّن من طابقين، بنوافذٍ زجاجية مزخرفة .. لكن مع هذا، يبدو المنزل وكأنه مهجور منذ مدّة طويلة !فقد كبرت بعض الأشجار، واغصانها تشابكت بدون تشذيب!

ففتح جاسر الباب الذي أطلق صريراً مزعجاً ..و ما ان دخلوا حتى اشتمّوا رائحة غير مستحبّة .. ورغم ان المنزل كان مفروشاً بأثاثٍ فخم، الا انه مُغطّى بالكامل بطبقة من الغبار الذي انتشر في كل مكان .. وبعد ان أضاء كل واحدٍ منهم كشّافه اليدوي، أخذوا يتجوّلون في المنزل الذي كان يبعث على الخوف والكآبة .. حيث انتشرت في زوايا الغرف، بقايا عظمية لبعض الفئران النافقة ! ولهذا فضّلوا قضاء ليلتهم فى الدور العلوي..

وبالفعل !! قاموا بتنظيف غرفتين .. ثم جلسوا يتسامرون.. وفجأة ! سألت لوجي سؤالاً، كان وقعه كالقنبلة:

-آه صحيح يا جاسر !! لما لم تخبرنا أن جدّك الأكبر، كان صاحب كرامات ؟!

فأحسّ جاسر وكأن قطاراً قد صدمه ! فصمت بإرتباك، بينما نظر الجميع اليه باهتمام ..

فأجاب بتردّد :

-بصراحة ..كنت أعتقد أن الأمر لا يستحق الذكر .. لكن طالما أنكم فتحتم الموضوع، فسأخبركم بكل شيء .... (ثم تنهّد) .. كنت قد سمعت من والدي : ان جدي الأكبر كان باستطاعته تسخير الجن، ويمتلك القدرة على التعامل معهم .. بل كان طويل الباع في هذا الموضوع .. لكنه إختفى منذ زمنٍ بعيد !

هدى بإهتمام :

-ماذا تقصد بقولك : اختفى ؟!

-ابي اخبرني : بأنه كان آخر من رأى والده .. حيث كان جدي يقرأ احد كتب الشعوذة في غرفته .. وبعد ساعة .. دخلت اليه جدتي، فلم تجده ! ..و من يومها، لم يعثروا عليه أبداً ! .. وبعدها بشهور .. غادر الجميع هذا المنزل، وعشنا في القاهرة ..و لم نعد نأتي الى هنا كثيراً.. ورغم اننا بعنا كل املاكنا في هذه القرية، قبل ان نستقر بالمدينة .. الاّ ان والدي فشل في بيع هذا المنزل الكئيب ! .. وقد حاول هو واعمامي كثيراً، لكن يبدو كأن المنزل يتحدّاهم ... فتركناه ورائنا .. ومن يومها، صارت تصلنا الكثير من

الشائعات والحكايات المخيفة عن هذا المنزل .. لكن والدي لم يصدّقها طبعاً ..و كان يقول دائماً : بأنها مجرّد خرافات ليس لها أساس من الصحّة، وكلّه انتشر بسبب الجهل !

ثم صمت جاسر .. فخيّم السكون على المكان..

لكن لاحقاً .. جاء الردّ مخيفاً لأبعد مدى .. أبعد حتى، من خيالهم الجامح!

اما في هذه الأثناء .. فقد خرجت الفتاتان من غرفة الشباب، وذهبتا الى غرفتهم المجاورة..

وهناك .. تمدّدت هدى على السرير، وبجاورها جلست لوجي وهي تعبث بجوّالها .. بينما حاولت الأولى ان تناقشها بكلام جاسر، لكنها فضّلت الصمت .. فتقلّبت على جنبها الأيمن وحاولت أن تنام..

ومرّت الدقائق ثقيلة.. لكن فجأة !! سمعت هدى شهقة فزعة، صادرة من زميلتها .. فهبّت من مرقدها، لتجد لوجي ترتجف وقد اتسعت عيناها على نحوٍ مخيف، وهي تنظر الى أحد أركان الغرفة .. فأمسكت كتفها وقالت:

-لوجي !! ما الأمر ؟!

فلم تنطق، بلّ ظلّت ترتجف .. الى ان قالت بكلماتٍ متقطعة :

-هناك ... هناك شخصاً ما ...في ذلك الركن المظلم ... كان بشع المنظر

.. !!لقد رفعت عيني لثانية عن جوالي، فوجدته ينظر اليّ نظرةً مخيفة ! و أشار بإصبعه على رقبته : بعلامة النّحر !

فأسرعت هدى واضاءت مصباحها اليدوي، ووجّهته ناحية الركن المظلم .. لكنها لم تجد شيئاً .. فطمأنت صديقتها وهدّأتها ..و بعد قليل .. ارادت هدى ان تذهب الى دورة المياه، بعد ان وعدت لوجي (المرتعبة) بأن لا تتأخّر عليها..

و في الحمام .. اخذت الأفكار تعصف بهدى .. وفجأة !! لمحت ظلاً لشخصٍ ما (من اسفل باب الحمام) وهو يتحرّك بسرعة غير طبيعية ! .. فانتبهت اليه حواسها ! ومرّت الثواني ثقيلة كالدهر .. وصار قلبها يدّق بعنف ..

ثم بدأ هذا الخيال يحاول فتح الباب عليها (رغم وجود القفل) ..فظنّت أنه أحد أصدقائها، فنبّهته على وجودها بالداخل .. الا انه كان يصرّ على فتح الباب عليها بالقوة ! فارتفع الأدرينالين الى رأسها، وأنتفضت واقفه.. و صرخت بغضب :

–من أنت ؟ !!

لكن لا مجيب ..

ثم صار الباب يرتجّ بعنف، حتى ظنّت بأنه سيُكسر فى أيّ لحظة ! فقرّرت أن تطلق صرخة عالية لتستنجد بأصحابها .. وقبل أن يخرج الصوت من حلقها، إنطلقت صرخة أخرى مخيفة تشقّ سكون الليل ..ثم

صمت كل شيءٍ فجأة ! إنخلع قلب هدى مع تلك الصرخة ..و تردّدت قليلاً في فتح الباب..

ثم إستجمعت شجاعتها وفتحته، لكنها لم تجد ذلك الخيال !.. فانطلقت بسرعة ناحية غرفتها، فهي تعلم من هي صاحبة الصرخة..

وما ان وصلت، حتى وجدت أصحابها الشباب مجتمعين في غرفة البنات..

ويتساءلون فيما بينهم :

-هل رأى احدكم لوجي ؟ !

لم تكن عند أحد الإجابة ! وقرّروا جميعاً البحث عنها فى أرجاء المنزل ..كل شخص لوحده بمصباحه اليدوي..

وإنطلقوا !! بعد ان إتفقوا على ابقاء جوالاتهم مفتوحة، كي يظلّ هناك إتصالاً فيما بينهم..

وعندما تلقى محمود اتصالاً من جاسر، رفع صوت جواله ليستمع باقي الأصدقاء للمكالمة، بعد ان تجمّعوا حوله .. فظهر صوت جاسر وهو يقول :

– محمود !! أنا الآن في الدور السفلي !! ولم أجد شيئاً هنا، غير الفئران !

فترة صمت .. ثم هتف جاسر قائلاً :

-آه لحظة !! أرى جسداً متكوّر فى أحد الأركان ! سأقترب منه لأتحقق اكثر

يتنصت الجميع بانتباه .. وتمرّ الثواني بطيئة، وكأن الزمن قد توقف وفجأة !! سمعوا شهقةً مكتومة ! ثم صوت جاسر وهو يصرخ بفزعٍ شديد :

-إهربووا!!!!!

ينتفض الجميع، وينتقلوا الى الدور السفلي حيث جاسر .. الا انه كان إختفى تماماً !

فيبحثون عنه كثيراً لكن دون جدوى .. وبعد ان يأسوا من ايجاده ! صعدوا الى الطابق الأرضي، وجلسوا في الصالة وطائر الصمت يخيّم عليهم ..و فجأة ! ينتبه محمود لشخصٍ ما، ينظر اليهم من خلف إحدى الستائر الموجودة في الردهة !

فيترك أصحابه ويذهب ليتأكّد من الأمر بنفسه، دون ان تلاحظه هدى او منير ...

لأنهما في هذه الأثناء، كانا يتناقشا بأمر اختفاء لوجي وجاسر .. وصارت هدى تُلقي بإفتراضاتها حول ما يحدث معهم، ومنير يهزّ برأسه ويعدّل من وضع نظارته على أرنبة أنفه ....

ثم فاجأها بقوله الغير مبالي :

-اتدرين يا هدى .. عقلي مشوّشٌ تماماً .. جيد انني احضرت معي بعض القهوة .. سأذهب لعمل كوبٍ منه، لربما افهم ما يحصل معنا ..اتريدين ان تشربي معي ؟

هدى بدهشة:

-يالي برودة اعصابك يا منير ! اصدقائنا اختفوا تماماً، ولا نعرف مالذي حصل معهم بالظبط .. وانت مشغول بالك بالقهوة!
-يعني لا تريدين ... حسناً سأذهب الى المطبخ .. لكن اعدك بأن لا اتأخر ..

وبعد ان ذهب، لاحظت هدى غياب محمود .. فقالت في نفسها بضيق :واين ذهب محمود ايضاً ؟! .. يالهي ! ماهذه الليلة الغريبة ؟.

وبينما كانت هدى تفكّر بمصير صاحبيها .. اذّ بها تلمح شخصاً ما، يبحلق فيها (من امام الباب الخارجي للدار) بصمتٍ مخيف !

فصرخت بفزع وبأعلى صوتها :

-محمود !! منير !! تعالا بسرعة!!!

لكن لا مجيب، فقد صمت الجميع !

فحاولت أن تهرب، بعد ان اختلطت عليها الأمور !.. وكانت تتعثر في ركضها، بسبب ملاحقة ذلك الظلّ لها، بصمته المخيف ! وأخيراً !! وصلت لغرفتها (في الطابق العلوي) .. دخلتها وأغلقت بابها بسرعة، بينما أنفاسها تتلاحق برعبٍ شديد ! وأشاحت بمصباحها يميناً ويساراً باحثة عن شيء

تضعه خلف الباب .. فإذّ بها تجد جسداً يشبه محمود، وقد تكوّمَ على نفسه في احد الأركان .. فيفزعها المنظر، لكنها تعود وتناديه :

-محمود !! .....محمود!!!

لكنه لا يردّ عليها ! فتركع بجانبه لتعدّل جلسته .. لكن ما ان نظرت الى ملامح وجهه، حتى صرخت صرخة مدويّة .. قبل ان يعمّ الصمت ارجاء المنزل !

القمر كان بدراً، ألقى بأشعته الفضّية على إحدى نوافذ منزل جاسر ..و سِمَة شخص يقف بأعلى الدرج يبحلق في صمت، وكأنه تمثال لا حياة فيه !

و فجأة !! يقترب منه مجموعة من الأشخاص .. ولوّ إقتربنا أكثر، لرأيناهم بوضوح : إنهم أبطالنا!!

قال جاسر :

-هآ محمود، هل إنتهى كل شيء ؟

فأومأ برأسه ايجاباً .. وهو يكمل نزوله من اعلى الدرج، باتجاه اصدقائه ثم قالت (لوجي) وهى تلوك علكة بطريقة مستفزّة:
–أأعجبكم المكياج الذي وضعته على وجه محمود، جعلته يشبه الزومبي .. لكني قمت به على العجل، فلم يكن امامي الكثير من الوقت..
جاسر وهو ينظر الى وجه محمود:

-لا بأس به يا لوجي، المهم انه وفّى بالغرض .. اليس كذلك يا محمود ؟

لكن محمود لا يجيبه، بل ظلّ شارداً بحزن .. فقالت لوجي بفرح:

-يالها من فكرة عبقرية .. نقتل هذه اليتيمة، ثم نبيع أعضائها لذلك الطبيب ..وبثمنها نستطيع أن نفعل ما نريد ..و لولا خطة منير العبقرية، لم نجحنا أبداً .. حتى انه لم ينسى ان يستأجر هذا المنزل، بإسم مستعار

ضحك منير وقال بزهو:

-حتى تعرفوا قيمتي .. لكن علينا ان نشكر الشاب القوي، الذي كتم انفاسها .. هآ محمود، هل خنقتها جيداً ؟

يجلس محمود على مقعد قرب النافذة، ويقول بعد ان إكتسى وجهه بالحزن:

-اصلاً المسكينة كانت شبه ميتة ! فالجوّ المرعب الذي اختلقناه، اثّر عليها كثيراً .. وما ان ضغطت قليلاً على رقبتها، حتى انهار جسدها تماماً

جاسر يبتسم بلؤم :

-هذا جيد .. لا دماء ولا قرف .. عملية قتل نظيفة

فقال محمود بضيق:

-بصراحة، انا متضايق جداً .. فهي لم تستحق كل ما فعلناه بها !

فقال منير بحزم :

-لكن المال يستحق، يا محمود!!

جاسر بلؤم : نعم من اجل المال، يمكننا فعل اكثر من ذلك!!

-لوجي : كنا مجبورين يا محمود .. فنحن جمعنا القدر، بعد ان تشابه مصيرنا .. فجميعنا قمنا بالتمثيل على طلاب الجامعة، بأننا مازلنا ابناء الطبقة الراقية ..

ويكمل جاسر (بغضب) : ونحن بالتاكيد !! لا يمكننا الإعتماد على اهلنا الفاشلين، بعد خسارتهم للكثير من اموالهم في البورصة والصفقات التجارية الفاشلة ! وكانوا..

يقاطعه محمود : لكن على الأقل !! اهلنا لم يخرجونا من جامعتنا، ومازالوا الى اليوم يحاولون دفع اقساطنا الغالية!

لوجي متضايقة : هذا لا يكفي، يا محمود !! فمظاهر الغنى تكلّف كثيراً .. لهذا كان علينا ايجاد مدخولٌ آخر يدرّ المال الكثير، لنكمل التمثلية امام الجميع !!

فأكمل منير قائلاً:

-نعم !! معهم حق ... ثم انك يا محمود متورطٌ مثلنا !! الست انت من عرفتنا على قريبك الدكتور، بائع الأعضاء ؟ !

فتابعت لوجي كلامها :

-هذا صحيح !! كما ان هدى يتيمة، وقد دخلت لجامعتنا المرموقة بمنحة دراسية .. لذلك لن يفتقدها احد، فهي اصلاً !! لا تنتمي الى مجتمعنا الراقي ..

جاسر بجدية :

-هيا !!! كفّ عن القلق يا محمود .. فجريمتنا من الصعب ان تنكشف، لأننا درسنا جميع الإحتمالات ..

واراد محمود ان يجيبهم .. لكنه فجأة ! اشتمّ شيئاً، جعله يسألهم بقلق :

-لحظة ! هل تشمّون رائحة حريق ؟ !

وهنا !! رنّ محمول منير .. فنظر اليه وقد إتسعت عيناه، بعد ان رأى رقم المتصل !

وما ان ردّ، حتى سمع آخر صوت كان يتوقعه :

-لقد سمعت كل شيء !! كان عليكم اختيار شخصٌ آخر بدل محمود، الذي جعله ارتباكه لا يتقن المهمّة .. وبهذا حظيت انا بفرصة ثانية .. لكني سأقول لكم كلمة أخيرة : (لا تبيع جلد الدبّ قبل أن تصيده).. والآن !! حان وقت الإنتقام، ايها المدّعون التافهون!!

ثم إطلقت ضحكة مجلّجلة ساخرة !

واسرع الجميع ناحية النافذة، بعد سماعهم لصوت سيارتهم وهي تنطلق بسرعة ! ليتفاجأوا بهدى وهي تبتعد عن المنزل .. فأرادوا اللحاق

بها .. الا ان النار كانت تشتعل بقوّة في الباب الخارجي للمنزل .. ويبدو ان هدى اشعلت النار امام منافذ الدار، بحيث صار خروجهم من هناك شبه مستحيل !

في الوقت الذي كانت فيه هدى تبتعد عن القرية، كان سكانها قد استفاقوا على صرخات الشباب الأربعة الهستيرية المؤلمة، بعد ان تحوّل كل شيء الى كومة نار !

نعم !! نهاية رهيبة لأبعد الحدود..

نهاية ..لم يتوقعها أحد!